عشر يوماً، وتوفِّي في نهار الخميس لاثنتي عشرة ليلة إن بقيت منه، وكان ابن طاهر المنجم[١] قد قال لمَّا دخلَ عميدُ الجيوش بغدادَ: قد اقتضى الحُكْمُ أن يقيم ببغداد ثماني سنينَ وشهوراً، وبلغَ العميدَ فانزعج، فقيل له: لا تلتفِتْ إلى قول المنجِّم، فكان كما قال؛ أقام على ولاية العراق ثمان سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام، مات وله إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر وأيام، وتولَّى أمرَه الرَّضيُّ الموسوي، ودُفِنَ بمقابر قريش.

السنة الثانية وأربع مئة

[و] فيها في يوم عاشوراء أذِنَ فخرُ الملك[٢] لأهل الكَرْخ بالنَّوح، وتعطيلِ الأسواق، ولُبسِ المُسوح[٣]، وما جرَتْ به العادة، ونظر فخرُ الملك في إقطاعات العساكر فأمضاها، وطيَّب قلوبهم، وسار إلى أوانا ومعه العساكر الدَّيلمية والشِّيرازية والعراقية والأعراب والأكراد وغيرُهم، يريد الموصل وبني عقيل، فجاءت رسلُهم بما يريد، فرجع إلى بغداد.

ذِكْرُ المحضر الذي برز من ديوان القادر في القَدْح في أنساب المصريين، وكان منه:

يشهد ـ مَنْ أثبت اسمه ونسبه في هذا الكتاب من الأشراف والقُضاة والعلماء والعدول والأكابر والأماثل بما يعرفون من نسب الدَّيصانية الكفار نُطَفِ الشياطين، المنسوبين إلى دَيْصان بن سعيد الخُرَّمي ـ شهادةً يتقرَّبون بها إلى الله تعالى، مُعتقدين بما أوجب الله على العلماء أن يُبيِّنوه للناس ولا يكتمونَه، شهدوا جميعاً: إنَّ الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقَّب بالحاكم ـ حكم اللهُ عليه بالبوار والدَّمار والخزي والنكال والاستئصال ـ ابن مَعَدّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ـ لا أسعدَه الله ـ وأنَّه لمَّا صار إلى المغرب تسمَّى بعبيد الله، ولقَّب نفسه بالمهدي، ومَنْ تقدَّمه ومن سَلَفه ـ الأنجاس الأرجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ـ أدعياءُ خوارجُ، لا

(١) في (م) و (م١): طاهر بن المنجم.

(٢) في (م) و (م١): فخر الدولة.

(٣) الخبر إلى هنا في المنتظم ١٥/ ٨٢.

نسَبَ لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلَّقون منه بسبب، وأنه مُنزَّهٌ عن باطلهم، وأنهم كُفَّارٌ فُجَّارٌ مُلْحِدونَ زنادقةٌ مُعطِّلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوس والثَّنوية معتقدون، قد عطَّلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلُّوا الخمور، وسفكوا الدماء، وسبُّوا الأنبياء، وادَّعوا الرُّبوبية ونحوه.

وكتبَ فيه الأعيان، فمِنَ العلويين: الرِّضى والمرتضى وغيرُهما، ومن القُضاة: أبو عبد الله محمد بن الأكفاني، ومن الفقهاء: أبو حامد الإسفراييني، وأبو عبد الله الصَّيْمري، وأبو عبد الله البيضاوي، وأبو عبد الله ابن حمكان، ومن الشهود: أبو القاسم التنوخي، وغيرهم.

وفي شهر رجب وشعبان ورمضان واصل فخر الملك[1] الصدقات، وحمل المال إلى مقابر قريش والحائر والكوفة، وفرَّق الثيابَ والحنطةَ والتمرَ والدراهمَ والدنانيرَ يوم العيد في الفقراء والمساكين، وركبَ إلى الصلاة في الجوامع، وأعطى الخطباء والمؤذنين الثياب والدنانير، وأطلق الحبوس، ومن كان محبوساً في حبس القاضي على دينار وعشرة دنانير قضاها عنه، ومن كان عليه أكثر أقام الكفيل وخرج، فأطلق من كان في حبس المعونة ممَّن صَغُرت جنايتُه، وحسُنَتْ توبتُه، فكثُر الدُّعاءُ له في الجوامعِ والمساجدِ والأسواقِ، وتقدَّم بنقض الدار المُعِزِّيّة[2] التي كانت بحضرة شارع دار الدقيق، [وغرم عليها أموالاً كثيرةً، ولم ينتقل إليها، بل جعلها له مُتَنَزَّهاً، وقد دَرَسَتْ، فلا عينٌ ولا أثر].

وفي [ليلة الأربعاء خامس][3] شوال هبَّتْ ريحٌ عاصفٌ سوداءُ بالعراق، فقلعَت أكثرَ من عشرة آلاف نخلة.

وفيها ورد كتاب محمود بن سُبُكْتِكين إلى القادر بالله بأنه أوغل في بلاد الهند، فوقع في مفازةٍ، ولم يبق معهم ماءٌ، فكادوا يهلكون من العطش، فنشأت سحابة، فمطرت

(١) في (خ): الدولة، والمثبت من (م) و (م١)، والمنتظم ١٥/ ٨٣ والخبر فيه.

(٢) في (خ): الغربية، وفي (م): العزبة، والصواب ما أثبته من (م١)، وهو الموافق لما في المنتظم.

(٣) ما بين حاصرتين من المنتظم ١٥/ ٨٤، والخبر فيه.

عليهم، فشربوا وسقوا، والتقاهم العدو وهم خلقٌ عظيم[١]، ومعهم ست مئة فيل، فنصره الله عليهم، فغَنِمَهم وعاد سالماً.

ومن العجائب أنه كان بين أبي الحسين عبد الله بن دنجا ـ عامل البصرة، ويُلَقَّب بذي الرُّتبتين ـ وبين أبي سعد بن ماكولا وَحشةٌ، فمرض أبو سعد مرضاً صعباً، فأنفذ أبو الحسين [فَوكَّلَ بداره، ثم اعتلَّ أبو الحسين] ومات، وتماثل ابن ماكولا، فبعث أولئك الموكلين إلى دار أبي الحسين فاحتاطوا عليها، وقبضوا على أصحابه[٢].

وحجَّ بالناس أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر، فلمَّا وصلوا زُبالة هبَّت عليهم ريحٌ سوداءُ، ففقدوا الماءَ، ومات منهم خلقٌ كثير، وبلغت المزادة مئة درهم، وأعطى جماعةٌ الخفارةَ لبني خَفاجة، فرجعوا بهم إلى الكوفة.

ذكر طرف من أخبار حلب وحوادث وقعت في هذه السنة وما بعدها مما يتعلَّق بذلك:

كان مرتضى الدولة أبو نصر بن لؤلؤ قد أقام الدعوة للحاكم بحلب، وضَرَبَ السِّكَّة باسمه، واستمالَ بسيل ملك الروم بالهدايا والتُّحف، وفعل معه ملك الروم كذلك، وكان إذا خاف جانبَ الحاكم موَّه عليه بصاحب الروم، وإذا خاف صاحب الروم موَّه عليه بالحاكم، فتمَّ أمرُه على هذا مدةً، وكان صالح بن مِرْداس يخدُمُه كالنقيب بين يديه، ويتوسَّط ما بينه وبين العرب، فلما كان في هذه السنة اعتلَّ الحاكم عِلَّةً قوي عليه الإرجاف فيها، ووردت على ابن لؤلؤ كتبٌ من مصر بتحقق وفاتِه والبعثِ له على طلب الحصون الشامية أفامية وغيرِها والبلادِ المجاورةِ بحلب، فطمِعَ وكتب إلى البطريق المقيم بأنطاكية، واستدعى منه ألفي رجل من رُماة الأرمن، وكان بَسِيل قد كتب إليه متى طلب النَّجدةَ أنْجَدَه، فبعث إليه بالرجال، فبعث ابنُ لؤلؤٍ أخاه أبا الجيش ابن لؤلؤ مع ألفي غلام من الحمدانية والأرمن إلى حصن أفامية، فنزل المعرَّة، وكان والي الحصن سَديدُ الدولة علي بن أحمد الضَّيف، وكانت له منزلةٌ متقدِّمةٌ عند الحاكم،

(١) في (م) و (م١): كثير، والمثبت من (خ) والمنتظم ١٥/ ٨٤، والخبر فيه.

(٢) هذا الخبر والذي يليه بمعناهما في المنتظم ١٥/ ٨٤ ـ ٨٥ وما بين حاصرتين منه.

وبعثَ ابنُ لؤلؤ صالحَ بنَ مرداس إلى الرَّحبة في ألفي فارس من بني كلاب، وأخذها وكتب سَديد الدولة إلى الحاكم على الطيور يعرِّفُه ويستمِدُّه، وكتب إلى حمص وبها ابن نزال، فسار إليه في ألف فارسٍ وراجِل، وكتب إلى طرابلس فوافاه واليها في ثلاثة آلاف، واجتمع إليه وُلاةُ الحصون والعرب، فبينا هو في الاستعداد لدفع أبي الجيش إذ جاء الخبر بركوب الحاكم وعافيته، فأشاع ذلك، وخلع على الواردين بهذه البشارة، وجاءته كتب الحاكم بقصد ابن لؤلؤ وقتاله، فنزل كفرطاب يريد حلب، وهرب ابن لؤلؤ إلى حلب، وكتب ابن لؤلؤ إلى صالح بن مِرْداس يستدعيه من الرَّحْبة، وكتب ابنُ لؤلؤ إلى سَديد الدولة وإلى الحاكم يستعطفهما ويقول: ما قصد بلاد الحاكم، وإنما كان عسكره في أعماله. وقدم صالحٌ إلى حلب ومعه العرب، فرأى خوفَ ابن لؤلؤ وجَزَعه، فطمِعَ فيه، وسلَّط العربَ عليه، فاستطالوا وطلبوا الإقطاعات والخِلَعَ فأعطاهم، واستشار ابنُ لؤلؤ القُوَّادَ في قبض صالح، فأشار به بعضُهم، وتوقَّف البعضُ، واتَّفق أنَّ صالحاً دخل حلب في ألف فارس من العرب، فوقفوا على باب قصر ابنِ لؤلؤ، ودخل صالح إلى القصر، فأمر ابنُ لؤلؤ بأبواب المدينة فغُلِّقَتْ، وأطلق الحمدانية في العرب فقتلوا منهم نحواً من مئتي رجل، وأخذ منهم مئةً وعشرين، وصالحٌ في الجملة، فقيَّدهم ورماهم في المطامير، وقتلَ أمراءهم، ووقع في المحبوسين جُدَرِيٌّ فمات أكثرُهم، وسأله بنو كلاب في البعض فأطلقهم، وبقي صالحٌ معتقلاً، وكان قد تزوَّج امرأةً من بني عمِّه تُعرف ببنت جابر، فأرادها ابنُ لؤلؤ على نفسِها فامتنعت، وكان لها ثلاثةُ إخوةٍ في جملة المحبوسين، فراسلهم بتزويجه إيَّاها، فاحتجُّوا بعقد صالحٍ عليها، فقال: ذلك عقدٌ باطل. ووعدهم بالخلاص، فأجابوه وزوَّجوه، ونقلوها إليه ومعها أم صالح ونساءٌ من نساء المعتقلين، فلما دخلَ بها شُغِفَ بها، وأعطاها شيئاً كثيراً، فشفَعَتْ إليه في أزواج نساء عشيرتها، فوعدها بإطلاقهم، وكان قد أفرد صالحاً في أزجٍ صغيرٍ في القلعة، ووكَّلَ به من يحفظه، فاغتنم غفلة الموكَّلين، وصعِدَ سورَ القلعة، ورمى بنفسه على تلٍّ تحتها فَسَلِم، وشاع الحديثُ في الليل، فأوقدوا الشموع، وفتحوا بابَ القلعة، وركبتِ الخيلُ خلفَه، فما وقعوا له على أثر، وكان قد اختبأ في سياج لبنان

تحت القلعة، وظنَّ ابنُ لؤلؤ أنه إنما فعل ذلك، وقد رتَّب خيلاً ورجالاً فحملوه، وقام صالحٌ في الليل وقد شدَّ قيوده ولَبِنَتَهُ[1] إلى ساقِه، وقصد ضيعةً يُقال لها: الياسرية، وكان له بها صديق يثِقُ به، فطرق بابَه ليلاً، فقالت زوجتُه: من أنت؟ فقال: صديق له. فقالت: هو في الرَّحى يطحن دقيقاً لقومٍ من العرب قد طرقوه ضيوفاً. قال: وأين هم؟ قالت: في البيدر، وهم بنو عم صالح بن مِرْداس. فجاء إليهم، وعرَّفهم نفسَه، فقاموا وفَرِحوا به، فقال: وأين أهلي؟ قالوا: بمرج دابق. وحملوه إلى أهله، فكتب [إلى][2] ابن لؤلؤ يخبره بما منَّ الله به عليه من النجاة، وأنَّه قاصدٌ حَرْبَه، واجتمعت إليه العرب، وسار إلى حلب، وخرج ابنُ لؤلؤ، واقتتلوا على باب تلِّ أعرن، فانهزم ابنُ لؤلؤ، وقُتِلَ جماعةٌ من رجاله، وأُخِذَ أسيراً، وجيء به إلى صالح، فقيَّده بالقيد الذي قيَّده به واللَّبِنة، فضجَّ من ثِقَلِها، فقال صالح: هذا القيد واللَّبِنة التي طرحتَها في رجلي، وقد كنتُ اجتهدتُ عند هربي في كسرها، فلم أقدِرْ، فعاهدتُ اللهَ إنْ ظفِرتُ بكَ لأطرحنَّها في رجلك، وأراد اللهُ أن أُجازِيَكَ كيل الصاع بالصاع، وكان أبو الجيش وطارق أخوا ابن لؤلؤ قد هربا إلى حلب، فحصَّناها ومعهما جماعة من الغِلمان الحمدانية، وجاء صالحٌ فنزل على باب حلب، فراسل صالحٌ أبا نصر ابن لؤلؤ في أسره يقول: قد وردت عليَّ كتبُ صاحب أنطاكية وابن المصيف يبذلان لي في تسليمِكَ الأموالَ والبلادَ، فاختَرْ أيَّ الجهتين تريد لأُنفِذَكَ إليها. فقال ابنُ لؤلؤ: فأين أنتَ عن القسم الثالث؟ قال: وما هو؟ قال: تعفو عني، تصطنعني، وتقترحُ ما تريد. فقال: أنا أفعل هذا على أن تُعطيَني نصفَ ما في قلعتِكَ، وتُطلِقَ جميعَ من في الاعتقال من بني كلاب، وتُقطِعَني الثُّلثَ من نواحي حلب وبالِس ومنبج. فقال له: أمَّا الرِّجال فأُطلِقُهم، وأمَّا المالُ فاطلُبْ مبلغاً مُعيَّناً، فهو أرفَقُ بي. فقال: مئة ألف دينار مغربية. قال: وأزيدك خمس مئة ألف درهم ومئتي ثوب. فقال: أخاف إذا عُدْتَ إلى قلعتك أن تغدِرَ بي. فقال: استوثِقْ مني بالأيمان. فاستوثَقَ منه، وأطلَقَه، فدخلَ البلدَ، وأحضرَ الشهودَ

(١) اللَّبِنَة: حديدة عريضة توضع على العبد إذا هرب اللسان (لبن).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

والقُضاةَ، وحلفَ له على الوفاء، وكان صالحٌ قد طلب منه رهينةً، فبعث إليه بوالديه وولده وأهله، فقال صالح: أنا عبدُكَ وابنُ عبدِكَ. وجلس ابنُ لؤلؤ في القصر، وهنَّأه الناسُ بالسلامة.

ولمَّا صارَ صالحٌ على حلب دخلت عليه والدتُه وقالت: يا صالح، قد أعطاكَ اللهُ ما لم تسأَلْهُ، وبلَّغَكَ ما لم تؤمِّلْهُ، وأجابَ دعائي فيكَ، وردَّكَ عليَّ بعد يأسي منكَ، وملَّكَكَ مَنْ كان بالأمسِ مالِكَكَ، ووفَّقَكَ لاصطناعِه، وسيَشيعُ فِعْلُك وتتداولُه الألسُن في الأندية والمحافل، ويؤرَّخ في الكتب والسِّير، فتَمِّم الصنيع بردِّ هؤلاء الرهائن، فإنَّ الرجل إذا أراد أن يفيَ لكَ وفى، وإن عزم على الغدر لم يُفكِّرْ فيمَنْ عندك، وهذه العجوزُ والدتُه قد ربَّتْكَ، ولها عليكَ حقٌّ كثير. فقال: سمعاً وطاعةً. وأرسل إلى والدة ابنِ لؤلؤ يقول: اذهبي ومَنْ معكِ إلى داركِ. فقالت: حتى يبعث إليكَ ابني ما شرط عليه. فقال: لَعَمْري إنَّ الشَّرطَ بيننا كذا، ولكن لكِ عليَّ الحقوقُ ما يُوجِبُ حيائي منكِ، وظنِّي في ابنِكِ الوفاء، فإنِ اختارَ الغدرَ فهو أعلمُ بما يلقى. فخرجَتْ من الخيام ودخلَتْ دارَها بحلب، ورحل صالحٌ فنزلَ على فرسخٍ، وسُرَّ ابنُ لؤلؤ، وأطلقَ مَنْ كان عنده في الاعتقال من بني كلاب، وكانوا خمسين ومئة رجل، وبعث بالمال والثياب والألطاف والهدايا، وحملَ وجوهُ الحلبيين إلى ابنِ لؤلؤٍ أصنافَ الأموال وما قدروا عليه على قَدْرِ أحوالهم ، وأقام ابنُ لؤلؤٍ مالكاً للقلعة إلى سنة أربع وأربع مئة.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن عبد الله[1]

ابن الخَضِر بن مسرور، أبو الحسين، السُّوسَنْجِرْدي، وُلد سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، وكان ديِّناً عفيفاً ثقةً، حسنَ الاعتقاد، شديداً في السُّنة، اجتاز يوماً على قنطرة باب البصرة، فسمع رجلاً من أهل الكَرْخ يذكر الصحابة بسوء، فما عبر القنطرة

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٢٣٧، والمنتظم ١٥/ ٨٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٦٨.

بعد ذلك، وتُوفِّي في رجب، ودُفِنَ بباب حرب، وعاش نيِّفاً وثمانين سنة، ورأى بعضُ أصحابه في المنام قائلاً يقول: السُّوسَنْجِرْديُّ من أهل حظيرة القدس.

أحمد بن مروان

أبو نصر ـ وقيل: أبو منصور ـ مُمهِّد الدولة، الكردي، صاحب ميَّافارقين، قد ذكرنا مقتل الحسن بن مروان على باب آمِد، وكان شِروةُ قد استولى على مُمهِّد الدولة، وصار بحالٍ أنَّه أطلَعَه على جواريه وحرَمِه، وكان يقول لِشروة: يا أخي يا أبا شجاع، يومي قبلَ يومِكَ، وكان لشِروةَ غلامٌ حدَثٌ وهو شديدُ الأُنسِ به، وقد قلَّده الشرطة، وردَّ إليه أمرَ البلد، ويقال للغلام: ابن قليوس، وكان مُمهِّد الدولة يُبغض هذا الغلام، وهَمَّ بقَتْلِه مراراً، ويراقب شِرْوة، وعرف ابن قيلوس ذلك،فخاف منه وشرع في إيحاش شروة من مُمهِّد الدولة، ولفَّق تلفيقاتٍ ومُحالاتٍ وشُبَهاً، فقال له شِروةُ: وَيْحكَ! وبأيِّ عينٍ يراني الناس وقد غَدَرْتُ بمن خلطني بنفسِه، وجعلني أخصَّ من أهلِه؟ فقال: مُهجَتُكَ أولى، ولا عُذْرَ لكَ في إسلامها إلى القتل، ولم يزلْ يُكرِّر عليه ذلك حتى أذعن ودسَّ السُّمَّ إلى مُمهِّد الدولة مراراً، فلم يضرَّه، فقال ابن قيلوس: فاقتُلْه. فقال: كيف يُتَصوَّرُ هذا مع محبة العشيرة والرَّعيَّةِ له؟ فقال: ما يتعذَّر ذلك. وكان مُمهِّد الدولة قد أقطع شِروة حصن الهتَّاخ، وهو يُشرف على مروجٍ كبيرة، فيها أزهارٌ ورياض، وكان من عادة مُمهِّد الدولة أن يخرج مع شِرْوة في زمان الربيع، فيُقيم به أياماً، ثم يرجع إلى ميَّافارقين، فخرج إليه، فلمَّا كان في بعض الليالي سكر، فقال ابن قيلوس لِشِرْوةَ: هذا وقتُكَ. فقال: واللهِ، مالي عينٌ تفعلُ هذا، وإنَّ الحياءَ من اللهِ ومن الناسِ يمنعني منه، فإن كان لا بُدَّ فدونَكَ وإيَّاه. وكان مُمهِّد الدولة نائماً ورِجْلُه في حجر خادم يُقال له: مِسْرَق، فدخل ابن قيلوس والسيفُ في يده مشهوراً، ورآه مُمهِّد الدولة، فقام قائماً وصرَعَه، وجلس على صدْرِه، وقال: يا شِرْوة، هاتِ سيفي من تحت المِطْرَح. فجرَّده شروة، وعلا به، فحلَّ عاتِقَه، فقال: ويحَكَ يا شِرْوة، فعلتَها، واللهِ لا أفلحتُم أبداً. وأخذ ابنُ قيلوس السيف من يد شِرْوة وقطع رأسه، ولَفَّه في بساط، وخرج شِرْوة إلى

بني عم ممهِّد الدولة، فقيَّدهم، وزعم أنه بأمر مُمهِّد الدولة، وسار إلى ميَّافارقين وملَكَها، ودخل القصر، واستولى على ما فيه الأموال والذخائر، وكان أبو نصر أخو مُمهِّد الدولة بإسْعَرْد[1]، فأرسل جماعةً للقبض عليه، وكان مُمهِّد الدولة قد أبعَدَه عنه، وإذا عُوتِبَ فيه يقول: رأيتُ في منامي كأنَّ الشمسَ قد سقطت في حجري، فغلبَني عليها، وأخذها مني، فأقام أبو نصر بنواحي إسْعرْد، وكان بِأَرْزَنَ[2] رجلٌ ـ يُعرف بخَواجا، وكنيتُه أبو القاسم ـ والياً عليها، ولمَّا جهَّز شِرْوةُ إلى إسْعَرْد مَنْ يقبِضُ على أبي نصر جهَّز إلى أرْزَنَ مَنْ يقبضُ على خواجا، ويأخذُ القلعةَ منه، قبل أن يشيع الخبر، وبعث إلى أرْزَن عبد الرحمن بن أبي الورد الدُّنْبُلي[3]، و كان تحتَ يده خمسة آلاف من الديالمة، فجاء إلى أرْزَنَ وقد بقيت من اللَّيل بقيةٌ، فصاح بالحُرَّاس، فقالوا: من أنت؟ فقال: فلانٌ، جئتُ في مُهِمٍّ، فأُخبر خواجا، فقال: افتحوا له الباب. ودخل، فناوله الكتاب، وعليه خَتْمُ مُمَهِّد الدولة، ولم يعلم بالخبر، فقال خواجا: سمعاً وطاعةً. وخرج طالباً ميَّافارقين، وأوصى إلى ابن أبي الورد، وشرع ابن أبي الورد في إفساد أصحاب خواجا، فما التفتوا، فبينا خواجا يسير إذ لقي كُرْديًّا وارداً من ميَّافارقين يَرْكُضُ فرسَه، فاعترضَه وقال: ما الخبر؟ قال: أوَ ما علمت؟ قال: لا. قال: قتلَ شِرْوةُ مُمهِّدَ الدولة، وأنفذَ مئتي فارس إلى الأمير أبي نصر ليأخذه من إسْعَرْد، وأرسلَ إليك وإلى المقيمين في الحصون رسلاً يقبضون عليك وعليهم، والطرقاتُ محفوظة؛ لئلَّا ـ يشيع الخبر، فرجع خواجا إلى أرْزَنَ، وجَدَّ في السير، وأتى إلى باب قلعة أرْزَنَ، فصاح بغلمانه، ففتحوا الباب، وشاهده ابنُ أبي الورد، فيئس منه، وكان خواجا شيخَ الأكراد، ومتقدماً فيهم، وكان شجاعاً شهماً، فأحضرَ ابنَ أبي الورد، وجرَّد سيفَه، وقال: واللهِ لئِنْ لم تُخبِرْني بالذي جئتَ فيه لأقتلنَّكَ. فقال: وأنا آمِنٌ؟ قال: نعم. فأخبره، فشقَّ ثيابَه وبكى، وبعث حاجبه في مئتي فارس إلى إسْعَرْد ليُنذِرَ أبا

(١) في النسخة الموجودة (خ) هنا وفي المواضع الآتية: سعرد.

(٢) أرْزَن: مدينة بديار بكر. اللباب ١/ ٤٢.

(٣) نسبةً إلى دنْبُل: وهي قبيلة من الأكراد بنواحي الموصل. توضيح المشتبه ٤/ ٧٠.

نصرٍ ويستدعيه إليه، فأسرع، وسبق أصحاب شروة، وجاء إلى أرْزَنَ فدخل الحِصْنَ، وعَلِمَ شِرْوةُ، فقامت قيامتُه، وانتقضَ عليه أمرُه، وكان مروان والد الأمراء قد أضرَّ، وأقام هو وزوجتُه بأَرْزَنَ عند تربة أبي علي الحسن، فأحضرَهما، وخاطَب الأميرَ أبا نصرٍ وأحلَفَه بين أيديهما على القبول والعمل بما يُدبِّره، وإذا رتَّب في الإمارة وجمع عليه الكلمة أحسنَ السيرة وعدل في الرعية، وعرف له حقَّ الخدمة، وأحضر القاضي ووجوهَ البلد، فشَهِدوا عليه، فلمَّا توثَّق منه قبَّلَ الأرض بين يديه، وحمل إليه مالاً وثياباً وخيلاً، وكاتب الأكرادَ، فجاء منهم عددٌ كثير، وسار خواجا في ألفي فارس إلى ميَّافارقين، فكبسَ الرَّبَضَ ونهَبَه، وخرج إليه شِرْوةُ، فاستظهر خواجا عليه، وعاد إلى أرْزَنَ بالغنائم، ثم جمعَ وحشَد، وسارَ ومعه الأمير أبو نصر إلى ميَّافارقين، فنزلا على فرسخين منها، وكان أهلُ البلدِ قد كرهوا شِرْوة وأبغضوه، وكاشفوه، وصار يسمع لعنتَه فلا يَسعُه الإنكار، فأشار عليه ابن قيلوس باستدعاء ملك الروم، وتسليم البلد إليه، فكاتبه، وجمع ما كان في الخزائن من الأموال والجواهر والأواني، وبعث بها إلى آمِد وديعةً عند ابن دِمْنة لمكان صداقته منه، وشاع في مَيَّافارقين بأنَّ شِرْوةَ يريد أن يُمسِكَ عليهم أبوابَ الجامع يوم الجمعة ويقتُلَهم، فلمَّا كان يومُ الجمعة اجتازَ ابنُ قيلوس على باب الجامع وبين يديه ضوضاء، فلم يشُكَّ الناسُ أنه يريد بهم ذلك، فثاروا، وانهزمَ ابنُ قيلوس إلى القصر، وقاتلهم أصحابُ شِرْوة وتلطَّفَ بهم، فقالوا: نُريد ابن قيلوس. فلم يُسْلِمْه إليهم، وفرَّق ابن قيلوس في أصحابه السلاح والخزائن، وخرج فقاتلهم، وقُتِل من أهل البلد جماعةٌ، وانهزم الباقون، وضرب رجلٌ ابنَ قيلوس فصرعَه، وقطعَ رأسَه، وسحبَ الصبيانُ جسدَه في البلد، ومثَّلوا به وأحرقوه، ثم قصدوا القصر فنهبوه، ونجا شِرْوة إلى البرج المعروف بِبُرج الملك، واستصرخ بشيوخ البلد، فجاؤوه وأمَّنوه، على أن يتوسَّطوا أمرَه مع الأمير أبي نصر، فنزل إلى دار شيخٍ منهم ـ يُعرف بأبي الطيب بن عبد ـ وكاتبَ العوامُّ أبا نصر، فدنا من البلد، وبعث إليهم يطلب شِرْوة، فامتنعوا، ووقع الخُلْفُ بينهم وتحزَّبوا، وأجمعوا على رجلٍ منهم يُعرف بأبي طاهر بن الحمَّامي، وقدَّموه، ورَضُوا به أياماً، ثم اعتزل عنهم، وكان بالسوق

رجلٌ تاجرٌ يُقال له: أبو الحسين أحمد بن علي بن وصيف، وبينَه وبينَ رجلٍ ـ يُعرف بأبي الرَّيحان ـ أُنسةٌ، وكان لأبي الرَّيحان رهطٌ وأصحابٌ، فسأله ابنُ وصيف أن يجعله مكانَ ابنِ الحمَّامي، فقرَّره مكانَه، وجعل له مالاً كثيراً، وقَبِلَ ابنُ أبي الريحان، فتمَّ له مرادُه، وعصى ابنُ وصيف على أبي نصر الأمير، وقاتله، وطمع في البلد، ثم فكَّر فخاف أن يُسلموه إلى الأمير أبي نصر، فراسله، واتَّفقا سِرًّا، واجتمع الشيوخُ إلى ابنِ وصيف وقالوا: قد ضاقَ بنا الأمرُ، والمصلحةُ أن تتَّفقَ مع الأمير ولا تُسلِم إليه شِرْوة، بل تُصالِحُه. فبعثَ إليهم وصالحهم على ذلك، وسلَّموا إليه البلد فدخله، ووَلِيَ ابنُ وصيف طبرى[1] وأنفذه إليها، وطرد المفسدين منها، وحَمَلَ شِرْوةَ إلى المكان الذي قُتِلَ فيه مُمهِّد الدولة فقتله وصلبه ـ وقيل: خنقه ـ وقتل أخاه وجماعةً من أصحابه، وأقام ابن وصيف مدةً بطبرى، ثم استوحشَ، فخرج إلى العراق.

وبعثَ ابنُ دِمْنة إلى أبي نصر يُهنِّئه بأخذ ميَّافارقين، وبعث له الهدايا والملاطفات على يد رجلٍ يُقال له: مِرِّيخ، له رهطٌ وعشيرة، وأختُه تحت ابن دِمْنة، فسَلَّم الهديةَ إلى أبي نصر، وخلا به، وقال: عندي نصيحةٌ. وأخذَ يدَه، وحلَّفه على ما أراد، وقال: ابن دِمْنة عاصٍ عليكَ، وإن جعلْتَني نائباً قتَلْتُه وأرحتُكَ منه. فأعطاه أبو نصر خطَّه بالولاية والنيابة عنه، وعاد إلى آمِد، وشرع في استمالةِ الرجال، فلمَّا تمَّ أمْرُه دخل عليه ـ وكان خِصِّيصاً به لا يُحجَبُ عنه ـ ومعه أربعةٌ من العرفاء، وابن دِمْنة جالسٌ وعنده كاتبه وفرَّاشه، فشكَوا إليه تأخُّرَ أرزاقهم، فوعدهم بإطلاقها، وأكبَّ مِرِّيخ عليه يُسارُّه في أمرٍ، ووثب عليه العرفاء، وضربوه بالسكاكين، وبادر الفرَّاش، فأغلق أبواب القصر، وفتح خزانة السلاح وفرَّقها في غلمان ابن دِمْنة، وخرج مِرِّيخ والعرفاءُ من القصر وابنُ دِمْنة يخور في دمه، فلمَّا رأوا الغلمانَ صعِدَ مِرِّيخ وكاتبُ ابن دِمْنَة القلعةَ في القصر، وفيها أختُ مِرِّيخ ـ زوجةُ ابن دِمْنة ـ وأولادُه وجواريه، ولم يُغلِقا البابَ من ورائهما؛ لشدة الخوف، ومال الفرَّاش والغِلْمانُ على العُرفاء فقتلوهم، وقصدوا القلعة، فوجدوا الباب مفتوحاً، وصرخ النساءُ في وجوههم، فقال الفرَّاش لأخت مِرِّيخ: إن أخاكِ قتلَ زوجَكِ، ولا بُدَّ من قَتْلِه. وهجم

(١) هكذا في الأصل، ولعلها طَبَرَك: وهي بالقرب من الري. معجم البلدان ٤/ ١٦ .

عليه وأخذَه والكاتبَ ونزل إلى القصر فقتَلهما، وأخذ من الخزانة جواهر كثيرةً ومالاً، وأخذ معه غلاماً على فرسٍ، وسار يطلب ميَّافارقين، فلقيه جماعةٌ من الأكراد، فأحاطوا به، وبلغ الخبرُ الأميرَ أبا نصر، فركب هو وخواجا ـ وكان قد استَوْزَره ـ وسار يطلب آمِد، فلقيه الأكرادُ الذين عندهم الفرَّاش، وعندهم أنه طالب له فقالوا: عندنا طلبتُكَ أيُّها الأمير. قال: ما هي؟ قالوا: فرَّاشٌ معه جواهرُ ومالٌ، وأحضره فسأله عن القصة، فأخبره، وأعطاه الأمان، على أن يُعرِّفَه ذخائرَ ابنِ دِمْنة وودائعَه، وجاء إلى آمِد وقد عصى فيها أولادُ مِرِّيخ، فراسلَهم، فقالوا: سَلِّم الفرَّاش إلينا، فامتنع، فقال له خواجا: ما تُحِبُّ أن تباع آمِدَ بفرَّاشٍ. فسلَّمه إليهم، فقتلوه، ودخل أبو نصر البلد، واستولى على ما فيه، واستناب أبا الحارث زيداً، فأقام حتى قتله بنو نمير.

[وفيها تُوفِّي]

عثمان بن عيسى

أبو عمرو، الباقِلَّاوي(١)، البغدادي، الزاهد، كان يُقال له: العابدُ الصموت؛ لأنه ما كان يتكلَّم فيما لا يعنيه، وما كان له مأوى إلا المسجد، ولا يخرج منه إلا يوم الجمعة، وكان يقول: إذا كان وقتُ الغروب أحسستُ بروحي تخرج. يعني لاشتغاله بالإفطار عن الذِّكر.

وكان يقول: أحبُّ الناسِ إليَّ مَنْ تركَ السلامَ عليَّ؛ لأنَّه شَغَلَني بِرَدِّ سلامِه عن الذِّكر.

وكان يتعمَّمُ بحبلٍ، وكان إذا سمع قارئاً يقرأ يُغْشى عليه.

وسأله السعيد التركي أن يصِلَ إليه منه شيء، فامتنع، فقال: فلا أقَلَّ من دُهْنِ المسجد! فجاءه وكيلُه بدُهْنٍ، فلمَّا عاد ليحمِلَ إليه دُهْناً قال: لا تحمِلْ إليَّ شيئاً آخر، فقد أظلم عليَّ المسجد.

(١) في (خ): الباقلاني، والمثبت من (م) و(م١)، ومصادر ترجمته: تاريخ بغداد ١١/ ٣١٣ ـ ٣١٤، والمنتظم ١٥/ ٨٦ و٨٧، وصفة الصفوة ٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٤. قلت: ووقعت كنيته في النسخ: أبو عمر، والمثبت من عدد المصادر وهو الموافق لما سيأتي في آخر الترجمة.

وقال أبو القاسم التنوخي: قصَدْتُه لشدةٍ وقعتُ فيها، فطرقتُ عليه الباب، فقال: مَنْ؟ قلت: مضطرٌّ. فقال: ادْعُ ربَّكَ يُجِبْكَ. فدعوتُ وأنا واقفٌ على الباب، وَعُدْتُ وقد كُفيتُ ما كنتُ أخافُه.

[قال الخطيب]: وكانت وفاتُه في رمضان، ودُفِنَ عند جامع المنصور، ورُئِيَ بعضُ أصحابِه الموتى في المنام، فقيل: كيفَ فرَحُكم بجوار أبي عمرو؟ قالوا: وأين أبو عمرو؟ لمَّا جيءَ [به] [(١)] سمعنا قائلاً يقول: إلى الفردوس الأعلى[(٢)].

[وفيها تُوفِّي]

علي بن أحمد بن محمد[(٣)]

أبو الحسن، القاضي، السامري، كان صالحاً زاهداً؛ قال ابنُ بنته محمد بن أحمد ابن حسنُون: ما رأيتُ جدِّي مفطراً بنهار قطُّ، وكان يصومُ الدَّهرَ كلَّه، وأجمعوا على صدقه وورعه وثقته.

[وفيها تُوفِّي]

علي بن داود[(٤)]

ابن عبد الله، أبو الحسن، المقرئ، القطان، إمام جامع دارَيَّا، ثم انتقل إلى إمامة جامع دمشق؛ قال ابن عساكر: كان إماماً بدارَيَّا، فخرج أعيانُ دمشق؛ شيوخ البلد والقاضي أبو عبد الله ابن النَّصيبي وأبو محمد بن أبي نصر وغيرهم، فلبس أهلُ داريا السلاح[(٥)]، وقالوا: لا نُمكِّنُكُم مِنْ أخْذِ إمامنا. وهمُّوا بالقتال، فتقدَّم إليهم أبو محمد ابن أبي نصر وقال: يا أهل دارَيَّا، ألا ترضونَ أن يسمع أهلُ البلاد أنَّ أهل دمشق احتاجوا إلى إمام من أهل دارَيَّا يُصلِّي بهم؟ فقالوا: قد رضينا. فقُدِّمتْ إليه بغلةُ

(١) ما بين حاصرتين من مصادر الترجمة.

(٢) بعدها في (م) و (م١) زيادة: أسند عن إبراهيم بن محمد المطوعي.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨، والمنتظم ١٥/ ٨٧ ـ ٨٨ . وينظر السير ١٧/ ٨٦.

(٤) تاريخ دمشق ١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٢ (طبعة دار الفكر)، وتبيين كذب المفتري ص ٢١٤ ـ ٢١٧.

(٥) تحرفت في (م) إلى: المسوح.

القاضي، فأبى أن يركبها، وركب حمارَه إلى دمشق [قال ابن عساكر: قرأ القرآن على أبي الحسن ابن الأخرم، وقرأ عليه أبو الحسن الربعي،] وكان يسكن بالمنارة الشرقية من جامع دمشق، ويُصلِّي بالناس احتساباً بغير أجرة، ولا يقبل هديةَ أحد، وكانت له أرضٌ يسيرةٌ بداريا يزرعُها بيده، ويتولَّاها بنفسه، ويطحن دقيقَها بيده، ويخبزه بيده، ويتقوَّت به، وكانت وفاتُه في جمادى الأولى بدمشق، ودُفِنَ بالباب الصغير عند أبي الدرداء.

محمد بن أحمد بن محمد[1]

أبو الحسين، الصَّيداوي، الغسَّاني، ويُعرف بابن جُميع، طاف الدنيا، وكان زاهداً متعبِّداً، قام الليل - وله ثماني عشرة سنة ـ إلى أن ماتَ وهو ابن سبع وتسعين سنة بصيدا، وأجمعوا على صدقه وثقته.

السنة الثالثة وأربع مئة

فيها في يوم الجمعة سادس عشر مُحرَّم قُلِّد الراضي أبو الحسن الموسوي نقابة الطالبيين في سائر الممالك، وورد له عهدٌ من بهاء الدولة من أَرَّجان، وقُرِئ في دار فخر الملك بمحضرٍ من القضاةِ والفُقهاءِ والأماثِل ووُجوهِ الدَّيلمِ والأتراك. وقيل: إنه خُلِعَ عليه خِلْعةٌ سوداءُ، وهو أولُ طالبيٍّ خُلِعَ عليه السَّواد.

وفيها خرج فخر الملك إلى النَّهْروان، وكان قد انفتح بَثْقُ اليهودي، فكادتِ البلادُ تغرق، فبات ساهراً طول ليلتِه، وحمل التراب والقصب على رأسه حتى أحكمه، وجرى الماء مجراه بالنَّهروان، فغَلَّتِ البلادُ في هذه السنة بضعةَ عشر ألف كُرٍّ[2]، وخمسين ألف دينار.

[وفيها] ورد الخبر بأنَّ أبا فُليتة [بن القوي] سبق الحاجَّ إلى واقصة في ست مئة رجل من بني خفاجة، فَنَزَح الماء من مصانع البرمكي والريان، وغوَّرها، وطرح الحنظل في الآبار، وأقام يرصدهم، فلمَّا وردوا العقبة في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلةً خلَتْ من

(١) تنظر مصادر الترجمة في السير ١٧/ ١٥٢.

(٢) الكُرّ: ما يقارب ١٥٨٣ كغ، وقد تقدم.